Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرابط اللبق يعتبر الوزن أو الايقاع مدخلا طبيعيًّا لمناقشة لغة الشعر ومكانها فى البناء . وقد تبدو بعض الاتجاهات النقدية القديمة الحديثة محقة تماماً فى التعويل على التحليل اللغوى للشعر كاشفاً لطاقته الجمالية ، بحيث لا تتحول القضية (كما يحدث كثيراً عندنا) إلى البحث عن التبسيط بمعادل نثرى قد يصل إلى تهافت العامية ، عامية الشعور وعامية التعبير . ومن حسن حظ النقد العربى أن عبد القاهر – وقد سبقه آخرون بمستويات أقل – قد ملأ هذا الجانب بجدارة ، وما سماه « النظم » ودعا فيه إلى التزام معانى النحو ، لا يعنى مجرد الخضوع للقاعدة النحوية ، وإنما يعنى أن التركيب الشعرى فى صميمه تركيب منظم ، يهدف فى نظامه إلى اعتصار أقوى معطيات الكلمة فى موقعها من السياق ، بحيث لو تحركت من موقعها الذى آثره الشاعر إلى موقع آخر فإنها ستفقد جزءاً هاماً من دلالتها أو إيحائها ، أو موسيقيتها ، ومن ثم سينحل النظم . وهذا المعنى لدلالة التركيب اللغوى مفهوم قبل عبد القاهر ذوقيًّا ، وما أضافه حقًّا هو تسميته وتطبيقه بتوسع ، وتحديد القول بأن أقصى ما فى الكلمة والتعبير والجملة ، من قوة الدلالة والإيحاء يتحقق حين نختار للكلمات أطيب وأصح المواقع لها حسبما يقتضيه التركيب اللغوى نحويًّا وبلاغيًّا .

وعبد القاهر لا يلغى أهمية اللفظ المفرد ، ولكنه يكتشف هذه الأهمية من تأمل دور المفرد فى التركيب أو البناء اللغوى ، وهو دور يقوم على الأخذ والعطاء ، وهذا ما عبرنا عنه بأن البناء علاقة تبادلية تقوم على الصلات المتبادلة من المتقدم فى المتأخر ، والعكس أيضاً . ولننظر فى تحليل عبد القاهر لبيتين لابن المعتز ، أولهما قوله :

وإنى على إشفاق عينى من العدى لتجمح منى نظرة ثم أطرق

وعبد القاهر يقدر سلفاً أن الاهتمام سيتجه إلى الاستعارة التى جعلت النظرة « تجمح » ، ومنهجه يرفض هذا التمركز الذى يعيد الحسن إلى لفظ أو ألفاظ (أو صورة كما فى هذه الحالة) ، إنه البناء اللغوى فى الأساس وليس أى شىء آخر . فليست « تجمح » هى سبب الطلاوة ، بل لأنه قال فى أول البيت « وإنى » حتى أدخل اللام فى قوله « لتجمح » ثم قوله « منى » ثم لأن قال « نظرة » ولم يقل « النظر » مثلا ، ثم لمكان « ثم » فى قوله « ثم أطرق » ، وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهى اعتراضه بين اسم إن وخبرها بقوله : « على إشفاق عينى من العدى » .